سِيَرُ
العُظَمَاءِ
تأليف
حسّان أبو رحاب
ناظر مدرسة فاروق الأول الابتدائية

obeikandl.com

سير العظماء

القصة الأولى

ملك

تاليف

حسن أبو رحاب

ناظر مدرسة فاروق الأول الابتدائية

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

ما أورع التاريخ ! حين يكون الحديث فيه نزيها صادقا ، وما أقربه إلى النفس ! حين يصل إليها دون تصنع أو تكلف ، وما أمتعه إلى القلب ! حين يكون أخاذاً شائقا ، لا يوحيه غرض كاذب ، أو هوى طائش .

وما أحوجنا إلى التاريخ ! فى هذه الحدود ، يصور عظمة الرجال أصدق تصوير ، لأننا نجد فيهم القدوة الصالحة ، والمثل العليا ، ولأننا إذ ندرس تاريخ حياتهم ، دراسة تحليلية دقيقة ، نرى كيف رفعتهم أعمالهم إلى مراقى العظمة ، فنحتذى حذوهم ، ونهج نهجهم . فوق ما فيه من إثارة ذكراهم ، والاعتراف لهم بالتقدير والاكبار .

وليس أكره إلى الشاب الثائر من أن يرى هذا السيل الجارف من القصص الغرامية ، والخرافية ، والهزلية ،

تكتسح ميدان القراءة والمطالعة ، وتتجه إليها نفوس الفتيات والفتيان ، ليجدوا فيها سلواهم ولذتهم .

وضرر هذه القصص على العقول بليغ جسيم . فهى تصور حياة هازلة ماجنة لاترمى الى غاية شريفة ، ولاتبلغ شاو التربية الحقة والتهذيب الصحيح .

وأنى لها ذلك ؟! وهى فى هذا الابتذال من المعانى ، والاستهتار فى المآرب ، والركاكة فى الأساليب .

فكان حقا أن تدفعنا الغيرة إلى هذا العمل ، الذى نرجو أن يجد فيه الفتى والفتاة — أيّا كان عمرهما — فوق التفكّة بالخيال القصصى مددا من الأسلوب الصحيح ، الذى لا دخل فيه ولاهجنة ، ومددا من المعانى السامية ، التى تقوم الأخلاق وتهدى النفوس ، وتغرس الفضائل .

وقد اعتاد الناس أن يكتبوا عن الأموات لا الأحياء ، ولا أجد فى ذلك مبررا يدعونا الى اتباعه ، بل أرى أن الحى أولى من الميت باثارة ذكراه ، وإحياء تاريخه . فان كانت الذكرى للتقدير والتكريم ، كان أولى أن يجد هذا العظيم

فى حياته من يرعى فضله ونبله . وإن كانت للقدوة الصالحة فالحى أكثر ايحاء لهذه القدوة .

ولا أبالغ اذ أقول :

إن الحديث عن الأحياء يمتاز بما هو أنفع وأجدى ، اذ فيه توجيه الى عبقرية العظيم ، وفى التوجيه فائدتان مزدوجتان :

فائدة اقبال الجمهور على هذه الشخصية الفذة ، والانتفاع بمواهبها .

وفائدة مثابرة تلك الشخصية على القيام بجليل أعمالها ، وعظيم آثارها .

وإذا كان فى هذه الشخصية موطن ضعف فان إثارته قد تدعو إلى استئصاله ، أو تخفيف وطأته .

إلا أن جانب الأموات قديكون فيه الوفاء أجل وأعظم ، وجانب الأحياء قديشوبه الملق والرياء ، وهذا لايعنينى أيضاً ، فان من شيمتى ألا أبخس الناس حقهم ، سواء أكانوا أمواتا أو أحياء ، أصدقاء أو أعداء .

وليس من طبعى أن أداهن أحداً مهما كان مقامه ، وسما مكانه .

ولو فعلت ذلك لكان مجهودى عبثا ضائعا ، وكانت غايتى فى هذا العمل لاتوحيها إلىّ أخلاقى .

وهذا يدعونى إلى أن أتحدث عن عظمة العظيم ، دون ذكر اسمه أولا ، أو نشر صورته . فانه لا تعنينى الأسماء والألقاب ، بل يهمنى أن أتعرف نواحى العظمة ، وأصف روعتها وقوتها . وأصور جمالها وجلالها . والاسم الذى يحمل هذه العظمة لا أصرح به إلا آخرا .

ولى فى ذلك غايتان :

أن يقرأ القارىء ، وذهنه خال من هذه الصورة ، التى يعرفها حول هذا العظيم . وقد يكون مبالغا فى نظرته اليها ، قدحا أو مدحا .

وأن يشعر برغبة دافعة إلى اكمال القراءة وانهائها ، حتى يصل إلى إدراك تلك السيرة ، ومعرفة اسم صاحبها — إن لم يستطع أن يعرفه أثناء القراءة . ولم يحتل على معرفته ، بأن قرأ الآخر قبل الأول .

ويحمل بى ، وأنا أتحدث عن العظماء ، أن أقرر فى

صراحة وجلاء ، أن ليس العظيم ذا الحول والطول ، ذا الثراء والغناء ، ذا التيجان والعروش ، ذا الشهرة والجاه . فقد يكون ذا الحول ضعيف النفس ، واهى الخلق ، وذا الثراء مرابيا أو مدلسا ، وذا التاج معتديا أو خاملا ، وذا الشهرة منافقا أو مرائيا .

وقد يكون العظيم مغموراً مطمورا ، هجرته الأيام ، وأنكرته الاهواء ، حتى أصبح ذكره بين الناس نسيا منسيا ، وان كانت الشهرة قد فاتته ، فان صفحة أعماله ناطقة بعظمته ، شاهدة برفعته .

ومن واجبى — إزاء هذا كله — أن يكون البحث دقيقا ، لا ترى فيه عوجا ولا أمتا ، يفتش بعين بصيرة عن الرجال الأفذاذ — أيّا كانت ناحيتهم — ليحدث القراء عنهم فى صورة جلية بريئة ، بعيدة عن مواطن الغش والتلفيق ، متوخيّا جانب الأمانة والنزاهة فيما أقول ، معترفا للمحسن بما أحسن ، وللمسىء بما أساء ، غير مبال فى ذلك بسلطان حاكم ، أو مصلحة شخصية ، فما آذانا ولا أخرنا إلا أن نطرح

جانب الحق ، خوفا من رئيس ، أو طمعا فى مغنم !

هذه فكرتى ، أزجيها إلى القراء ، فى هذه « القصص » الشهرية . لتصل إلى القـــلوب ، فتعمرها ، والعقول فتصقلها ، والأخلاق ، فتهديها .

ورضا الله غايتى ، وخدمة الوطن وجهتى .

والتوفيق بيد الله يؤتيه من يشاء ؟

المؤلف

القاهرة فى : محرم سنة ١٣٥٦

مارس سنة ١٩٣٧

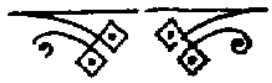

obeikandl.com

أمل؟!

« زوجة صالحة » تضرع إلى الله آناء الليل ، وأطراف النهار ، فى خشوع وخضوع . أن يهب لها من لدنه « ذكراً » يكون قرة عينها ، ومتعة قلبها .

وكان الله بها شفيقا رحيما . فأجاب سؤلها ، وحقق رجاءها.

وما هى إلا أيام تتلوها أيام . حتى أشرقت طلعة هذا « المولود » ، وإذا نور ينبثق بين الأرجاء ، فيملؤها فرحا وغبطة ، ويبعث فيها أملا حلواً ، وخيراً عميما .

وتساءل الناس :

ما الخبر ؟!

ما هذا العهد الجديد ؟!

الذى نرتوى فيه الرفاهية والبركة ، بعد أن ذقنا ألوان الأهوال ، وصنوف المحن !!

وما هذه البشرى الطيبة !!

التى تحمل إلينا جمال الحياة . وصفاء الوجود ! !

وإذا بنا نسمع أجوبة مختلفة مضطربة ! !

هذا يقول :

إنها الحرب ، سكن أوارها ، بعد شدة ، وخمدت نارها . بعد ثورة ، فلا بد أن يتلو الخصام سلام ، وأن يعقب القلق هدوء .

وفى ذلك استقرار وأمن .

وذاك يقول :

إنها الحرية ، نشرت ألويتها ، فتحرك الناس بعد موات ، واجتمعت صفوفهم ، تحت راية الجهاد ، وجهروا بالصوت عالياً ، طالبين العيش فى ظلال الحرية ، أو الموت بين طعن القنا ، وخفق البنود !

وفى هذا عزة وحياة .

وذلك يقول :

إنه « مولود جديد » ساقه الله الى هذه البلاد ، ليكون لها بشير خير وبر ، وفألا طيباً لحياة جديدة سعيدة .

obeikandl.com

وفى هذا خير ونعيم .

وإذا الناس يقبلون على هذا القائل ، مغتبطين متسائلين :

ومن هذا المولود ؟ !

زد فى حديثك ، فان نفوسنا مشوقة إلى سماع الحديث ، وعقولنا تواقة الى إدراك ما تقول !

تباطأ « صاحبنا » فى الجواب ، ولكنه لم يستطع أن يقهر سلطان هذه الجموع الزاخرة ، التى تسأل « عن النبأ العظيم ، الذى هم فيه مختلفون » ، ويأبى إلا أن يكون ما كراً فى جوابه ، فلا يذكر اسم « المولود » ، وانما يحدثهم حديثاً شائقاً ، عن مستقبله الزاهر ، وحياته الطيبة ، وأعماله الحافلة بالمجد والفخار .

والناس يصغون فى شوق ولهفة ! .

واذا واحد منهم أراد أن يدفع « صاحبنا » الى التصريح لا التلميح ، والاطناب لا الاجمال ، وأخذ يستثير كوامن نفسه ، ويهيج خواطر وعيه ، بقوله :

كفى ما تقول !

لعله قول كاهن مأفون ، أو أضغاث أحلام ! ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » .

و « صاحبنا » كان أكثر يقظة وانتباهاً ، فلم يحرك هذا القول ساكنه ، ولم يثر حفيظة نفسه ، بل أخذ يحدثهم فى هدوء وسكينة :

إننى لا أدعى علم الغيب — ولا يعلم الغيب إلا الله — ولكن لى رأياً ، أنفذ به إلى بواطن الأمور ، فأدرك أسرارها ، وبصيرة واعية ، تحدثنى عن خبايا الشؤون وخفاياها .

سر الآباء ؟!

ولا بدع اذا أنا حدثتكم عن مستقبل « المولود الجديد » ، فاننى أعرف المثل السائر « ومن يشابه أبه فما ظلم » ! ! .

قالوا :

ومن أبوه ؟ !

قال :

إنه رجل عظيم ، عاش سيد قومه ، بما قدم من جلائل

الأعمال، وأسدى الى البلاد من خير ومعروف، عظم الدين، وأحيا معالمه وشعائره، وأشرف على الناحية العلمية، وتغذية منابعها: منذ أن تذوق حلاوة العلم، وطعم الفنون، وأصبح مظهره العلمى موطن إعجاب الناس وتقديرهم.

عثر أحد العلماء المستشرقين على آثار فى الصحراء بلغ عمرها خمسة آلاف سنة، وصورها بأزهى الألوان، وعرف فى هذا «العظيم» حبه العلمى، وشغفه بالثقافة، فرأى أن يزف إليه هذه البشرى، وراح يعقد حولها الآمال والأحلام.

ولكن «العظيم» كان أوسع علماً، وأبعد نظراً، فهداه اطلاعه الغزير إلى ما اكتشف فى أمريكا من آثار تشبه هذه الآثار، بلغ عمرها سبعة آلاف سنة!، وقال «للوسيط»: أبلغ المستشرق أن هناك آثارا أقدم عهدا، وفى مجلة «كذا»، فى شهر «كذا» يجد الدليل والبيان.

وضاع أمل «المستشرق»، ووقع بين أنياب الخيبة والندم!!.

رجل عظيم ، قوى العزيمة ، لا يعبأ بحادثات الأيام ، سديد الرأى ، ينفذ به الى مدلهمات الخطوب ، سباق الى المعالى ، غير قاعد أو وان .

ومن مأثور أقواله :

« ان المثابرة مع الصبر والتأنى ، والايمان والثقة برعاية الله تؤدى حتما إلى الفوز » .

رجل عظيم :

يؤثر المصلحة العامة ، على المصلحة الخاصة ، يؤخر النظر فى هذه ، بعد الفراغ من تلك ، واعداد خير وسائلها وغاياتها ، ويواصل ليله بنهاره فى تفقد أحوالها ، لا يعوقه عائق ، أو يشغله شاغل ، حتى وقت الأكل كان يسرح عقله فى تدبير شؤون « الوطن » ، فاذا عنت له فكرة ، أودعها القرطاس ، حتى لا ينسى العمل على انجازها ، اذا آن الأوان ! .

رجل عظيم :

يعتز بمجد الوطن ، ويفاخر بحضارته ، وتحدثنا عبارته عن شرف نفسه ، فيقول :

« إذا كان غيرنا من الأمم يعتز بقوميته ومجده : — وقد يكون هذا المجد ضئيلا — أفلا يكون لمصر أن تعتز بمجدها، وتفاخر بقوميتها ، وقد شادت أكبر مجد ، وأبدعت أسمى حضارة فى التاريخ القديم ، وعلمت العالم العلوم والفنون » ؟!

وتلك « والدته » :

ذاقت أفاويق النعمة والسيادة ، واعترفت من مناهل الخلق والفضيلة ، رباها والدها فأحسن تربيتها ، وزودها بخير زاد من الهدى والتقوى ، ورسم لها دستورا قويما ، فى إحدى وصاياه ، حيث قال :

« رأس مال الانسان فى الحياة أخلاقه الفاضلة ، فهى عدة النجاح » .

وسارت على هذا النهج فى تعليمها ، فحذقت اللغة العربية ، وعرفت أسرار الدين ، وأخذت قسطها الوافر فى كثير من العلوم والفنون . وحباها الله بعاطفة البر والشفقة والحنان ، فأصبحت مثلا أعلى للأم الرءوم .

أيكون جديرا بكم ؟ ! بعد أن عرفتم بعض صفات « والده »

و «والدته» أن تصدقوا قولى ، وتؤمنوا بعظمة هذا «المولود» وهو لا يزال فى المهد صبيا ! أو يكون حقا علينا أن نتريث قليلا ، ونرتقب هذا «الطفل» فى حركاته وإشاراته ، فاذا نما وترعرع عرفنا ميوله ورغائبه ، وأخلاقه وأعماله ، وحينذاك تدركون ماله ، أو ما عليه ، وتحكمون علىّ أننى أخطأت فى قولى ، أو أصبت !

وكأن القوم راقتهم تلك الفكرة ! ، فراحوا يبحثون عن هذه النواحى بدقة واتقان .

واسترسل صاحبنا فى الحديث .

مولود ؟!

كان هذا «المولود» جنينا فى بطن أمه ، واقترب يوم ميلاده ، ولم يكن أحد يعلم أنه ذكر أو أنثى ، سوى ان «والدته» تدعو الله ان يكون «ذكرا» و «والده» يؤمّن عليها فى هذا الدعاء .

وما أرق هذه الساعة !

التى اجتمعا فيها ، وأخذا يتحدثان عن اسم هذا « المولود » .

« فالوالد » يجمع طائفة من الأسماء العربية للذكور والاناث، تتجاوز العشرين،ليختار من بينها اسم هذا«المولود» . ألم يكن عزيزاً عليهما ، محبوبا اليهما ؟ ! ، فلم لا ينتقيان له هذا الاسم الجميل ؟ ! .

و « الوالدة »تتوسل إلى « الوالد » ألا يردد أمامها اسما لأنثى فهى تحب أن يكون « ذكرا » ، وتتفاءل خيرا ، فليس للوالد أن ينغص عليها هذه الأمانى ! ! .

وجاء أمر الله .

وهلّ هذا « الذكر » ، واقترن اسمه بعظيم من العظماء ، أخذ ينهج نهجه ، فى أخلاقه وأعماله . وكأنّ التاريخ يعيد نفسه ! ! .

ولما جاء البشير يحمل لوالده هذا الخبر السار ، قال :

« أرجو أن يكون فألا حسنا للبلاد » .

وقد كان ذلك الفأل الحسن !

فاصبح يوم مولده فاصلا بين الحرب والسلم ، والظلم

والعدل ، والذل والحرية ، واغتبط الناس حينما وصل اليهم هذا النبأ ، واتخذوه يوم عيد ، فيه يسرحون ويمرحون ، ويتبادلون ضروب التهنئة .

وشاركت أوتار الموسيقا دقات القلوب الفرحة ، فاهتزت بأنغامها الشجية ، وتفتحت الآذان ، لتسمع هذه الألحان ، فى دعة وسرور .

وتجمع الفقراء ، يبتغون المدد والمعونة ، ابتهاجا بهذا « المولود » فكان لهم العطاء الجم ، والانعام الجزيل ، الذى أطلق ألسنتهم بالدعاء الحار . وهنا صاح الجمع الحاشد :

« ليعش المولود الجديد » .

عيد ؟!

وفى كل عام يتجدد هذا الهتاف ، حين الاحتفال بعيد هذا « الميلاد » ويجمع الحفل علية القوم ، وصفوة الرجال ، يستمعون إلى كلام الله ، يملأ الأسماع ، اغتباطا بهذا « الفأل الحسن » .

وما أروع آى القرآن ! .

يتذاكرها الناس ، فتمتزج عظاته وبيناته ، بما تحمله قلوبهم من فرح وأنس ، بذكرى هذا « العيد » .

وما أجمل هذه السُّنة !

فى إحياء الأعياد ، وإمتاع النفوس .

تلك هى طريقة « الوالد » فى الاحتفال بهذا « العيد » ، وهى تدل على ما حباه الله من حب الدين ، وقوة الايمان .

وكان « للطفل » نصيب فى هذه الأعياد .

حتى يدخل السرور إلى قلبه ، ويحس فى هذا اليوم بالفرح والأنس .

ألا يفرح بيوم ميلاده ، كما يفرح الناس ؟ . بلى .

فهذه طائفة من الهدايا . لعب رائعة ، ساعة ثمينة ، سيارة فاخرة ، آلة للتصوير والسينما ، مجموعة من الكتب النفيسة ، أنواع مختلفة تناسبه وتلائمه . يلهو « الطفل » بهذه الهدايا ويستمتع بها ما طابت له اللذة والمتعة .

وهذان أبواه يطبعان على خديه تلك القبلة الحارة ، التى

تحمل فى ثناياها الحنو والاشفاق . وترجوله طيب العيش ، وصفاء النعيم .

تلميـذ ؟!

كان «تلميذنا» طموح النفس ، حافز الهمة ، بعيد الآمال ، فالغاية من تعليمه أن تحقق فسيح آماله ، وفسيح آماله يوحى أن يكون منهاج تعليمه فياضا بما يقوى الجسم ، وينمى العقل ، ويقوم الخلق ، ويغذى مواطن الرفعة والعظمة ، حتى يكون جديرا بما يؤتيه الله من عز ورفعة .

لم يدخل « تلميذنا » مدرسة ، بل تربى تربية خصوصية ، على أيدى أساتذة مهرة قادرين .

وفى سن مبكرة ، حينما بلغ الثالثة . كانت فى يد هذا « الطفل » كراسات من القماش ، فيها صور مختلفة ، تمثل الحروف الأبجدية ، فكانت عاطفته تلهو بهذه الصور ، وعقله يسبح فى إدراك هذه الحروف .

ولما أشرف على الخامسة كان تعليمه يرتكز على الألعاب

الرياضية . التى تلائم طفولته . ومبادىء القراءة والكتابة ، وقسط وافر من القصص التاريخية . وبعض ألفاظ اللغة الانجليزية .

وفى السابعة أخذ يتعلم دروس اللغة العربية ، والانجليزية ، والرياضيات .

وفى الثامنة بدأ تدريبه العسكرى .

وهكذا اتسع نطاق منهاجه ، حتى شمل كثيرا من العلوم والفنون ، ولم يكتمل الثالثة عشرة حتى تم له منهاج واسع من الدروس اللغوية ، والثقافية ، والرياضية ، والفنية ، والعسكرية .

وفى خلال هذه المرحلة ظهر نبوغ « تلميذنا » ، وأثار ذكاؤه ، ورجاحة عقله إعجاب أساتذته ، وتقديرهم لهذه العبقرية الفذة ، ودهشتهم لما يبديه هذا « التلميذ » من سرعة البديهة ، وقوة الخاطر ، وتوقد الذهن ، وأداء الواجب ، وإطاعة المعلم .

ولو شئت أن تستمع إلى حديث أساتذته ، وعرفت

آراءهم فى استعداده الفطرى ، لراقك ما تسمع ، وأدهشك ما يقولون :

مدرس :

يشهد أنه درس للكثيرين من الطلاب ، وفى بعضهم من الذكاء ما يبلغ حد النبوغ ، فلم ير طالبا بكر فيه النبوغ كهذا « الطالب » .

ومدرس اللغة العربية :

يقول : « ان نطقه يجعل السامع يعتقد أنه عاش فى صميم العرب » .

ومدرس اللغة الفرنسية :

يقول : « ان نضج ذهنه غير متناسب مع سنه ، ولكنه متناسب مع قامته » .

ومدرس العلوم الطبيعية :

يشعر بأنه ليس بحضرة طالب مبتدىء ، بل طالب خبير بهذه العلوم ، يستذكر دروسه قبل حضوره ، ويغنى فهمه عن تكرار الشرح ، وعناء التوضيح .

obeikandi.com

ومدربه العسكرى :

يعترف بحسن استعداده ، وعظيم مهارته .

تذوق « تلميذنا » اللغة العربية وأحبها ، لأنها لغة القرآن الكريم . الذى أحكمت آياته ، وفصلت من لدن حكيم خبير ، فأقبل على دراستها بشوق ورغبة ، حتى نبغ فيها ، وكان له ميل فطرى إلى الدين الحنيف : فأنار قلبه بهداه ، وفهم روح الاسلام ، وارتوى من فيضه ، فقوى إيمانه ، واستشعر اللذة الباقية فى عمل صالح ، وخلق كريم .

ومن مأثور قوله :

« إنى أتعشق اللغة العربية ، وأحب شىء إلى نفسى تلاوة القرآن الكريم » .

وقد صادفت تعاليم الاسلام هوى فى قلب « تلميذنا » . فأخذ يسير على سننها ، ويسرى على سنتها .

أشار عليه أحد المربين ألا يبدأ الناس بالتحية ، فابتسم ، وقال :

كلا . هذا مخالف لما علمنى إياه مدرس الدين الاسلامى ، فقد قال لى :

إن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له :

« أى الاسلام خير ؟ ! »

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ، ومن لم تعرف » .

ولا سبيل الى تحقيق الغاية من التعليم والتهذيب ، اذا لم يتسع أفق « التلميذ » ولم تسبح خواطره بين صفحات الكتب المتنوعة ، فيجد فيها غذاء عقله وقلبه ، ويتفتق ذهنه فى بيئة حية من الثقافة والمعلومات ، وتشوقه المطالعة إلى إدراك أسرار العلم ، واجتناء ثماره .

وقد طبع « تلميذنا » بطابع سليم من حب المطالعة ، نهج عليه منذ بدء نشأته ، وسار على سنته ، حتى تم له مدد من العلوم والفنون .

فى عيد « ميلاده » تشترى له مجموعات الكتب النفيسة ،

لا يتلهى بتقليب صفحاتها ، وتأمل مصوراتها ، ولكنه يقبل على قراءتها بدقة وإمعان .

وفى كل عام تنمو مكتبته الخاصة بهذه المجموعات ، وتتزود بعدد وافر من الكتب الثمينة ، يربى على بضعة آلاف .

واذا كانت معه نقود ، فانه يبذلها بسخاء فى شراء الكتب ، وادخار أغلاها وأثمنها ، ويرى فى هذا العمل لذته ومتعته .

وكان « الوالد » فى رحلة إلى أوربا ، فاستقبله الطلبة استقبالا رائعا ، يليق بمكانته ، وشاءوا أن يخلدوا هذا التكريم بهدية ثمينة ، يتوجهون بها إلى « ولده » المحبوب ، تكون تذكارا جميلا ، لما يضمرون من حب وإخلاص .

وماذا تكون تلك الهدية ؟ !

عرفوا فى هذا « الولد » ميلا الى المطالعة ، وحبا فى القراءة ، فكانت الهدية مجموعة نفيسة من الكتب .

وقد حمل « الوالد » إلى « ولده » هذه الهدية ، فرحا مغتبطا ، لأنها توافق هواه ، وتشبع ميوله ، وسلمها إياه ، وزوده بتلك النصيحة الغالية :

« لتكن هذه الهدية يابنى تذكارا جميلا لوجوب الغربة فى طلب العلم ، فاحرص عليها » .

ولم يقصد بحرص « الولد » على هذه الكتب الاقتناء والحفظ ، بل أن يستوعب قراءتها ؛ ويتفهم ما فيها من حكم وآيات .

وكذلك كان شأنه فيما يقرأ ويطالع ، يتدبر المعانى ، ويحصى الدقائق والمرامى .

وكذلك بقى شأنه مدى حياته ، لا يصل إلى يده كتاب ، حتى يقرأه ، ويلم بجميع نواحيه .

وظل هذا شأنه ، حتى فى زياراته ورحلاته وأسفاره ، فاذا دخل مكانا ، وكانت فيه مكتبة ، اتجه اليها ، وراح يتأمل كتبها ، وجلس هنيهة من الزمن يتصفح كتابا ، ويقلب أوراقه ، لعله يظفر ببعض ما يروى غليله !

وهذا شأن « التلميذ » الذى أثمر فى قلبه حب العلم ، وبلغ فى تربيته إلى حد النضج والكمال .

وكم نرى تلاميذ ! أخطأهم التوفيق ، فلم يتذوقوا حب

المطالعة ، ولذة القراءة ، فعاشوا فى بيداء الجهالة يتيهون ، وتقطعت دونهم أسباب العلم والعرفان ، وارتموا فى بيئة موحشة ، لا نور فيها ولا أشراق ! !

كشاف ؟ !

وفى مبادىء الكشافة فضيلة تدعو إلى الخير والسلام ، ورجولة تدفع إلى الاقدام والخشونة ، فلم يُحرم هذا « التلميذ » من تلك الثمار ؟ ! ولم يقف حيالها عاجزا قاعدا ؟ ! ، وقد عودنا أن يكون سباقا الى المحامد ، نهازا للفرص .

ارتدى ملابس « الكشافة » ، ودخل فى حظيرتها ، وارتضى سنتها ، ضاربا مثلا أعلى ، فى تحقيق منهاجها ، بوازع من ضميره ، وسلطان من نفسه .

ويجد الناس فى هذا « الكشاف » تلك القدوة الصالحة ، فى جمال الخلق ، وحب الوطن ، واسداء المعروف ، ورضا الله .

وينظرون إلى « الكشافة » نظرة احترام وتقدير . بعد أن كانوا يثيرون حولها الشكوك والأوهام ، ويعتقدون أنها ضرب من اللهو والتسلية .

وهل تقوم هذه الأوهام ؟ ! بعد أن أصبح هذا « التلميذ » كشافا ، أليس من دأبه الجد والعمل ؟ . ومن خلقه الفضل والنبل ! ، ومن غايته الخير والبر ! .

بلى ....

فلتتجه إليها الأنظار ، حتى تجد فيها المجال الفسيح من التربية والتهذيب ، ولتتوجه إليها النفوس ، لترتوى من فيضها العميم .

ويجتمع هذا الحفل الحاشد ، ليشهد هذا « الكشاف » الجديد ، ويصغى إلى قسمه الجميل :

« أعد بشرفى أننى سأسعى جهدى ، لأن أقوم بما يجب على لله ، وللملك ، وأمتى ، وأن أساعد غيرى فى جميع الأحوال ، وأن أعمل بقانون الكشافة » .

كان قلبه يهتف بهذه الكلمات وتحمل يده علم الوطن . الذى يخفق خفقة الفرح والفخار ، إعجابا بهذا « الكشاف » وفيه خير مثال للبر بالوعد ، والوفاء بالعهد « إن العهد كان مسئولا » .

وكأن نداء حاراً ، ينبعث بين القلوب ، فيهتف هتافاً عالياً

يدعو لهذا « الكشاف » الجديد باليمن والرخاء، ويطلب إلى « الكشافة » جميعاً أن يحتذوا حذوه ، ويسيروا على دربه ، ومن سار على الدرب وصل .

وكأنّ « الوالد » راقه ما رأى فى « الولد » من طلاقة لسان ، ورباطة جأش ، فطبع على خده قبلة ساخنة ، أودعها كل ما يجيش فى صدره ، من مظاهر الحنو والاشفاق ! .

سفر ؟!

كان « عظيمنا » بعيد الهمة .

فلم يرضـــه ما تزود من علوم وفنون — مع كثرتها وتنوعها — بل رغب أن يغترب فى سبيل العلم ، وينهل من مناهله العذبة ، فى الجامعات الأوربية .

هل يترك الوطن العزيز ، ويهجر شمسه ونيـــله ، ولو فترة من الزمن ؟ !

هل يترك حنـو الآباء . ورغد العيش . تحت ظلالها الوارفة ؟ !

هل يترك أخواته الصغار ، وقد كن متعته وسلواه ؟ !

أجل .

ففى سبيل العلم ما يلقى !

وفى سبيل آماله الفتية يركب الأهوال والأخطار !

وفى سبيل إرواء نفسه بالدرس والتحصيل يهجر الأهل والخلان !

يرى بلاداً غير بلاده ، ويعيش فى بيئة أخرى ، فيشرف على خلال قومها ، فيقتطف ما فيها من خير ورشاد ، ثم يعود إلى البلاد شاهراً سلاح العلم ، ظافراً بما تزود من ثقافة ، وما حصّل من تجارب .

ولكن « الوالد » يخشى عليه فتنة المدنية الأوربية ، وما فيها من زيغ وهوى ، ويخاف أن تتضعضع تعاليم دينه ولغته ، وأن تتضاءل قوميته المصرية ، وهو الحريص على أن تكون زاده ومدده .

فماذا يفعل ؟ !

يرى فى « الولد » رجولة تحميه من هذه النقائص ، و تبعده عن هذه الوساوس .

ولكن الحرص يدعو إلى الحيطة .

أخذ « الوالد » عليه عهدا وميثاقا ، وقلده هذه الوصية الرائعة ، وقد أودع فيها نصحه الغالى ، وحكمته الفائقة ، فقال :

« إن الغربة يا بنى تهون فى سبيل العلم والوطن . فارفع اسم مصر باجتهادك ، وكن جديراً بمكانك ، وبالبيت الذى تنتمى إليه » .

فأدرك « الولد » سر هذه الوصية ، وطمأن أباه ، وكان لسان حاله يقول :

لا تجزع — يا أبت — فالله معنا ، وسأذكر أبدا تعاليمك ونصائحك ، فتحمينى وتحرسنى .

ولكن الحرص يدعو إلى الحذر .

فكان حقاً أن يسافر ، وبصحبته فريق من أساتذته وأعوانه . يزودونه بما يرون من دروس ورعاية .

وما أقسى هذه الساعة ، التى كان فيها الوداع !.

« الوالد » حزين كئيب ، تبدو على أسارير وجهه مظاهر الوجيعة .

كيف ذلك ؟!

وهو ذو العزم والاقدام !

كيف ذلك ؟

وهو من يضرب أصدق الأمثال ، فى الثبات عند الشدة ، والصبر على المكاره !.

ومن يدرى ؟

لعل فى الأمر سرا دفينا !

ومن يدرى ؟

لعل نفسه حدثته — وفى حديث النفس ما يثير الشجون — أن ليس بعد هذا الفراق تلاق ، ينشرح به صدره ، وتقر به عينه !

فلتكن النظرة عميقة فى الأسى ، ولحظة الفراق مريرة فى الآلام !

و « الوالدة » : تدرك سر هذا الموقف الرهيب ، فتدعو الله

أن يكون الفرح باللقاء قريبا . حتى تعود للأسرة ظلال الهناءة والرفاهة ؟ !

ولكن تقدرون فتضحك الأقدار !!

والأخوات الصغار : يبتسمن هذه الابتسامة الهادئة . وحولها ينثرن تلك الكلمات الوادعة ، ويذكرن مجالسه الحلوة ، وقد شربن معه كؤوس الصفاء ، وعبارته الرقيقة ، وقد كانت لهن موطن بهجة ، وظلاله الوارفة ، وفيها يجدن الحنان . هي ذكريات الطفولة الساذجة ، التي لا تحمل عبء الآلام والأحزان !

و « الولد » : بين ذلك كله مشدوه الفكر ، حائر القلب يرى في نظرات « والده » أسى الفراق ، فيألم ، وفي صحته إعياء ، فيخشى أن تخطفه يد المنون ، وهو نائ بعيد ، فيزداد الألم . وكأنه يرتقب من « والدته » تخفيف البلاء ، وتيسير العناء ، فاذا هي تسبح في يم من التاوهات والحسرات !!

فلم يكن بد من الرضا بما قسم الله ، والصبر على هذه الخواطر ، وله في شرف غايته من الدرس والتحصيل خير العزاء والسلوى.

ركب متن السفينة وأقلعت بسم الله مجراها ومرساها ، وحولها عيون شاخصة ، وقلوب شاعرة ، ترنو إلى هذا « المسافر » ومحياه الوسيم ، وترجو له العود الحميد ، والأياب السعيد ، وتدعو الله أن يلبسها ثوب الرفاهية ، ويحقق له أسمى الغايات .

وألقى « المسافر » على هذه الجموع نظرة عميقة ، شفعها بدمعة حارة ، لم تكن دمعة الخوف والوجل ؛ بل دمعة الوفاء لهذا العطف والاخلاص .

طالب ؟!

وصل هذا « الطالب » إلى لندن ، بعد سفر طويل ، فاستقبله الناس بالحفاوة والترحيب ، ووجدوا فى « طلعته » بهاء الطبع وصفاء النفس ، وكرم الشمائل ، ولطف المعشر ، فزاد هذا فى حبه ، وتقدير آماله .

ورأى أن يخبر « أباه » بوصوله موفور الراحة ، وأن يصف له مظاهر التكريم . التى قوبل بها ، فما أن قرأ « أبوه »

هذا الخبر حتى فاضت دموعه ، استجابة لوحى قلبه ، وانسياقاً وراء عاطفة الأبوة . وما أرق شعورها واحساسها !!

وقد صدق « فكتور هيجو » حيث يقول :

« قلب الأسد هو قلب الأب الصحيح » .

فلم يكن هناك كقلب هذا « الوالد » بطشا وقوة ، ولكنه اهتز بهذا الاشفاق ، تحمله تلك الدموع !

وليست فى غرفة « الطالب » الخاصة مايدعو الى التكلف ، فهذه صور والديه ، قد ازدانت بها الجدران ، يستمتع بالنظر اليها ، ويقرأ فيها أمثلة حية لبعد الهمة ، وراجح الجنان .

ثم مجموعة من التحف النفيسة ، تمثل العصور القديمة ، وما خلدت فى التاريخ من جلائل الأعمال ، وحافل الذكريات ، ويجد فى هذه الرموز مايطبع فى ذهنه دروساً من التوثب والنهوض .

يستيقظ « الطالب » فى الساعة السادسة صباحا .

وهو إذ يستقبل يومه يذكر ربه ، الذى وهب له الحياة ، وحباه بوارف النعيم ، فيتجه إلى ساحته الكريمة فى خشوع ،

ويصلى الصبح ، ثم يقرأ جانبا من القرآن الكريم .

يفتتح يومه المدرسى بالصلاة ، وفيها إطاعة للرب ، وتقدير العرفان .

ومن صفات « الطالب » الطاعة ، والاعتراف بالجميل .

ثم بقراءة القرآن ، وفيه متعة القلب ، ومدد العقل ، ووحى الخلق .

وتلك هى الأسس الحية للدرس النافع ، والتهذيب المثمر .

وبعد الفطور ، حيث الساعة الثامنة يقوم بتمرينات عسكرية :

ثم تبدأ الدروس اليومية ، كدراسة اللغات العربية ، والانجليزية ، والفرنسية ، والعلوم الطبيعية ، والجغرافية ، والتاريخ ، والعلوم العامة .

فاذا انتهى به الوقت إلى الساعة الواحدة ، تناول غداءه ، واستراح قليلا .

obeikandi.com

ومن ثم يستأنف دراسة علوم أخرى كالرياضة، وركوب الخيل .

وبين الساعة الخامسة ، والسابعة مساء يستذكر دروسه ، ويستعيد دقائق بحوثه .

وفى خلال ذلك يغذى الناحية الاجتماعية ، من زيارة دور التحف، والكتب ، والأندية العلمية ، والرياضية ، ودور الصناعة والتجارة .

فلم يكن « طالبا » أسير الكتب والمدرسة والمعلم ، بل كان يجول بفكره إلى مستوى من الثقافة . يلائم تكوينه الوثاب ، وأفقه الواسع .

وجاذبية هذا « الطالب » وبليغ تأثيره فيمن يستمع إليه ، محل اعجاب وتقدير .

فى ذات مرة ، اجتمع بأحدى الشخصيات الفذة فى « لندن » فكان شائق الحديث : سليم المنطق ، جوال الفكر ، وقاد القريحة . فدهشت تلك الشخصية لعبقرية « الطالب » النادرة ، « بعثت إلى « أبيه » بالتهنئة الصادقة ، بهذا الخلف

الصالح ، الذى سيكون نسيج وحده ، وفخر عصره .

دأب هذا « الطالب » على الدرس والتحصيل ، وأبدى جدا ومثابرة ، كان فيهما صادق العزم ، حافز الهمة .

وقد رأى من واجب الوفاء أن يستمع — كل يوم — إلى صوت أمه وأبيه ، ليطمئنهما على نفسه ، ويطمئن على حالها . يجتمع بهما فى هذه الفترة القصيرة ، يستشف فيها ألوان المحبـــة ، وآيات النصيحة ، ويستشفان دقات قلبه ، وخطرات حسه .

ولكن رغبة « الوالد » شاءت أن يحرم نفسه هذه المتعة الهنيئة ، وأن يصرف «ولده» إلى العلم وحده ، دون الافراط فى هذا الحديث ، وأن يكتفى بمرتين فى الأسبوع ، ليتفرغ إلى تلك الغاية ، التى احتمل فى سبيلها الغربة والفرقة . أرأيت كيف بلغ حرص « الوالد » على رعاية « الولد » ؟ !

وكيف وصل به حب العلم إلى هذا الحد من الرقابة والعناية ؟ !

وهل يجدر بالآباء بعد هذه العظة البالغة أن يرعوا

أبناءهم ؟ ! ويصونوا مستقبلهم من العبث والهوى ، وشبابهم من الضعف والخمول ؟ ! !

أسى ؟ !

وما أمر هذا الأسى !.

هذا «الوالد» الذى ابتسم فى وجه الزمن ، فأضاء صفحته يعبس الزمن فى وجهه ، ويغشاه الظلام !

هذا «الوالد» الذى ملأ الحياة حماسا وهمة ، تخور قواه ، ويخمد فيه الشعور !

هذا «الوالد» الذى غلب الأهوال ، وصهر الخطوب ، هزمه الموت ، وقهره القدر !

تلك هى اللحظة الأخيرة ، التى تخلو فيها الذكرى !

ذكرى «الوطن» الكريم ، الذى قال فيه :

«أول واجب على أن أسعى لتحقيق ما تصبو اليه بلادى ، من الحرية والاستقلال .

وذكرى « الولد » النجيب ، الذى حرمته الأيام طلعته حتى فى هذه اللحظة التى يحلو فيها اللقاء ، ويجمل الحديث !.

أما « الوطن » فقد جاهد فى سبيله ، حتى إذا قرب النصر فارق الحياة ، دون أن تتم له بسمة الظافر !

وأما « الوالد » فقد قوّم عوده ، حتى اذا قرب أن يكون زاهرا ناضرا ، ودّع الحياة ، ونفسه مشوقة الى رؤية هذه الزهرة اليانعة ! !

« الزوجة » :

تقف بجانب الزوج فى وقت المحنة ، فتذرف الدمع السخين ، وترفع يدها الى الله الرحيم ترجو الشفاء .

و « الأخوة الصغار » :

يندبن جدهن العاثر . الذى أفقدهن حنان العائل ، وهن يرتقبن ان يترعرع شبابهن فى جناح عطفه وبره ! !

تتناثر الدموع فى زفرة وحسرة ، وتنطلق الألسنة بكلمات متقطعة هزيلة ، يكاد يتبين فيها السامع هذه الألفاظ :

أين أنت يا أخانا ؟ !

هذا أبوك يقضى نحبه ! !

ليتك بجانبه ، تودعه بنظرة حارة ، أو دمعة لاذعة !

وليتك بجانبنا ، نجد فيك العزاء ، وقد عظم المصاب !

وكأن هذه الكلمات نفذت إلى قلب « المريض » فأثارت فيه كوامن القلق ، وإذا به يئن أنينا صارخا ، يكاد يتبين منه السامع هذه الألفاظ :

ولدى !

أريد أن أراك ، قبل أن يختطفنى الموت !

يا للقدر ! !

وقع ما كنت أخشاه ، وحيل بينى وبين ما أشتهى !

كان « الولد » يحس باكتئاب وانقباض ، ويخشى وقوع الخطر !

ساقه وحى الضمير إلى أن يبعث الى « والده » رسالة ، يكشف فيها عن مكامن الوجيعة فى نفسه ، ويدعو الله ان يخفف لواعج الكرب ، بالشفاء القريب .

وكأنّ « القدر » ينتظر هذه الرسالة !

وكأنّ « القدر » لم يشأ أن يكون مقذعا فى قسوته ، فأخذ « الوالد » يغالب الموت بعزمه ومضائه ، حتى وصلت تلك الرسالة !

وفى لهفة والتياع شرع « الوالد » يقرأ رسالة « ولده » ، يتمثل فيها زينة الحياة ، وبهجة الوجود !

ولا يزال فى تلاوتها ، حتى يغمض الجفن ، ويلفظ النفس الأخير ، قرير العين ، هادىء البال ، فقد رأى «ولده» فوق صفحات القرطاس ! ورأى فيه الخلف الصالح ، الذى سيحقق ما بدأه من خير وإصلاح .

وماذا كان الجواب ؟ !

لعله بشرى الشفاء ، أو أمل اللقاء !

كلا .

بل هو الفاجعة . والنبأ الأليم !

هو الحادث الجلل ، والخطب المرير !

وأين كان « الولد » ؟ !

وماذا كان يفعل ؟ !

فى غرفته ، جالسا الى مكتبه !

يحرر رسالة إلى « والدته » ، يتعجل رد الرسالة الأولى ، ويبثها خوالج القلب المدلّه الولهان !

وتقدم النذير جزعا فى صوت خافت ، وقال :

مات ، وسبحان الذى لايموت ! !

وهنا وقف القلم ، وجف المداد !

وأصاب « الولد » وجوم واضطراب !

وساد الغرفة وحشة وابتئاس !

ثم انتقل « الولد » إلى غرفته الخاصة .

وهناك نثر الدمع الغزير ، حتى ابيضت عيناه من الحزن ، وهو كظيم !

وهناك أخذ يبكى أباه ، بكاء من يقدر الجميل ، ويشعر بالرزء الجسيم !

رأى أن يتحدث إلى « والدته » يواسيها ، ويسرّى عنها الهم والحزن ، ويقول لها :

تشجعى يا أماه . والعاقبة للصابرين !

والأم تتكلف الصبر والجلد إشفاقا على « ولدها » وتقول له :

بارك الله فيك يا ولدى ، فلا تيئس من روح الله !

بارك الله فيك يا ولدى . فأنت العزاء والسلوى !

كان اليوم المشئوم ، الذى اجتمع فيه الناس من كل حدب وصوب ، ليشيعوا هذا الفقيد العزيز ، ويبكوه بعيون الحسرة والكمد !

تلك هى الجموع تخشع وراء نعشه ، تكريما وإجلالا .

وذلك هو الوفاء ، يتجلى للعظيم فى مماته ، كما تجلى فى حياته .

طواه الزمن . وإن كان ذكره يعمر القلوب !

وضمه الثرى ، بعد أن كان ملء الأسماع والأبصار !

ودع الحياة ، بعد جهاد طويل . أحسن فيه البلاء ، وكتب صفحة خالدة ، من جلائل الأعمال ، تذكرها الأجيال . ويفخر بها التاريخ .

عودة ؟!

وهل تجدى البشرى ، فتغلب الأسى ؟ !

لا :

فأن النكبة فادحة ، لم تبق مجالا للهناءة والغبطة !

وهل يحتمل الغربة ، بعد تلك الخسارة ؟ !

لا .

فسرعان أن تأهب للرحيل . وعاد على جناح السرعة ، يرنو إلى تلك البلاد ، التى ودعها بالأمس مبتسما ، ويستقبلها اليوم مبتئسا :

وما : أبعد البون بين الأمس واليوم !

وقف الناس بالأمس ، يسرحون ويمرحون ، اغتباطا بسفر « الولد » ! .

واليوم يقفون ، بين بكاء وعويل ، حزنا على فقد « الوالد » !

بالأمس سـعد « الولد » ، برؤية « الوالد » وأنسه ،

واطمان إلى رضاه وبره ، واليوم يحرم أن يراه ، حتى وهو على فراش الموت !

وهكذا تشاء الأيام أن يعود ، ليراه جثة هامدة ، بين أطباق الثرى ! !

ويزوره فى هذا القبر الموحش !

ويرثيه بالعبرات والزفرات !

وتجول فى ذهنه خواطر الذكرى :

أب كريم :

أسدى إلىّ المعروف ، وحباني بالنعيم .

رجل عظيم :

هداني الى الخير ، وابتنى أفخر الآمال !

فأرعى الجميل .

ولأحقق الغايات .

هذا عهدى بين يديك — أيها الأب الجاثم فى قبرك — وسأكون به بارا وفيا ، آخذا من عزمك قوة ، ومن سيرتك قبسا ، ومن تاريخك زادا ومددا .

وإذا دمعة تنحدر على خديه ، فتزيد العهد توكيدا ووثوقا .

حتى الآن لم ير والدته « الثكلى » ، وأخواته « البائسات » !

وقد كن يرتقبن عودته ، بعد هذا السفر النائى ، والخطب الأليم ! .

ها هو ذا مقبل ، فى غير ابتهاج ، كساه الهم أثواب السقم ! .

ولكنه صبر وصابر ، حتى لا تزيد الفجيعة ، وتتكاثر الأرزاء ! .

وكان موقف اللقاء رهيبا ، يبعث فى النفوس المكلومة أنواعا من الصمت والسكون ، وضروبا من التأوه والأنين !

وإذا صوت جميل ، يرنّ فى الآذان ، يرتل قول الله :

« إن الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ، ألاّ تخافوا ، ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة ، التى كنتم توعدون » .

فافاق القوم من تلك الغفلة ، التى غشيتهم حينا من الزمن ! وراحوا يبشر بعضهم بعضا بهذه الجنة التى سكن فيها

« الفقيـــد » فى ساحة الله الكريم ، ورضوان ملائكته الأبرار !.

بر ؟!

وفى هذا « البر » ترى صورة صادقة لقلب ذلك « العظيم » ، وعاطفته النبيلة .

وللبر نواح مختلفة . تمثل كثيرا من السجايا الحلوة ، والصفات الكريمة .

بر بالوطن .

بر بالأسرة .

بر بالأساتذة .

بر بالفقراء .

وقد ضرب « عظيمنا » أصدق الأمثال فى هذه النواحى من « البر » وكان فيها كريم النفس ، شريف الغاية ، يمليها عليه ضميره الحى ، دون تكلف أو تصنع .

كان منذ نشأته يهتف باسم « الوطن » ، ويمجد ذكره ،

فى كل آونة وحين .

للوطن :

دين حنيف : أحبه .

لغة كريمة : تذوق بيانها .

تاريخ مجيد : ارتوى من فيضه .

شعار حى : رفع مناره .

وإنك لتراه — وهو طفل ناشىء — يغدو ويروح فى حديقة داره لاهيا ، لاعبا ، فاذا استقر به المقام قليلا أخذ يبنى من الرمل قلاعا ، يرفرف عليها علم مصر الخفاق .

حتى فى اللعب تظهر ميول « الأطفال » ورغباتهم نحو المستقبل البعيد !

ولعله إذ بنى هذه « القلاع » من الرمل ، ورفع فوقها راية مصر ، يبنى فى المستقبل قلاع المجد والفخار ، يظللها هذا العلم المنيع الرفيع ، فتتبوأ مصر — بفضل مابنى — مقعد صدق بين الأمم .

ولنرقب الأيام ، لنرى ماذا يكون ؟ !

وبينما كان والده يُعمل فكره مع أحد المهندسين فى اختيار « نقش » قديم خاص بالزخرفة ، دخل « عظيمنا » — وكان طفلا ناشئا — وأصغى إلى الحديث بدقة وإمعان ، وأوحى اليه بره « الوطنى » أن يدلى برأيه ، وأن يقول لوالده فى أدب جم :

ولماذا لا يضعون العلم المصرى محل النقش القديم ؟!

وماسمع « والده » هذه الفكرة ، حتى سر بها سروراً كثيراً . وأوصى بتنفيذها ، تقديراً لهذا الرأى السديد !

ومن المظاهر الحساسة لبره بالوطن أنه افتتح عهده بما أسدى الى البلاد من خيرات وبركات .

لله درك أيها « العظيم » !!

تفتتح أيام « شبابك » بما تجود به يداك من مال !

وتفتتح تاريخ « حياتك » بما توحيه مكارم أخلاقك ، من البذل والعطاء !

« خمسون ألفا » من الجنيهات . تقدمها إلى وطنك العزيز أيها « الشاب » النبيل !

فليتعم بك « الوطن » بقدر ما أحببته !

وليبادلك « الوطن » الحب والإخلاص ، بقدر ما قدمت له من عون ومعروف !

ولما اعتزم « عظيمنا » السفر إلى « لندن » ، ليغترف من مناهل العلم ، رأى أن يتزود بآثار مصر ؛ وأن يتعرف إلى هذا الذخر الثمين ، حتى يستقى منه روح الوطنية الصادقة التى تعتز بماضيها ؛ وتفخر بتراثها المجيد . ووجد فيها مجالا فسيحا لأنماء شعوره الحى ، نحو « الوطن » العزيز ، الذى يحفظ له فى نفسه أجمل الذكرى ، وأطيب الآمال .

ويبلغ به الحرص فى إدراك هذه الآثار ، وتعرف أسرارها أن يدرسها دراسة عملية عميقة . يشرف عليها بنفسه وينفذ إليها بثاقب رأيه .

زار بعض الآثار ، فوجد فيها نقوشا لم يتبين مدلولها ، فقال : لا بد لى من تعلم الهيروغليفية ، حتى إذا شاهدت هذه النقوش أدركت معناها فى الحال .

ويرى أن فى التنقيب عن الآثار كشفا لتاريخ الأمة ،

التى يحبها ، ويسعى سعيا حثيثا لرفع منار مجدها ، وعرف « القدر » فى نفسه هذه النزعة الصادقة ، فساق إليه كشف بعض آثار ، فى إحدى رحلاته ، ووافق هذا هوى فى قلبه ، وسره سرورا عظيما : وقال :

— إن حظى سعيد جدا ، إذ أن كل جهة أذهب إليها أرى بها أثرا جديدا .

رعى حق والده ، وبالغ فى الحفاوة به حيا ، ولما رزىء بوفاته ألفيناه يقسو على نفسه بالحزن الممض ، والألم اللاذع.

وكان فى وفاته أكثر وفاء له وبرا .

مابدأ سفراً ، إلا زاره ، ليستمد من عزمه قوة .

وما عاد من سفر إلا زاره ، ليبثه ما رأى من جلائل الأعمال .

وما أقبل عيد إلا زاره ، ليجدد العهد ، ويستلهم الوحى ، وينحنى انحناءة الاكبار والاجلال .

ورق « لوالدته » ، ووجد فيها الأم الرءوم ، فبادلها الحب والحنان ، وكان يأسو فجيعتها فى زوجها بما خفف آلام المصاب

وبرحاءه ، وجعلها تجد فيه خير العزاء والسلوى .

رأت فيه خير المثل للولد الوفى ، فانطلق لسانها ، تدعو الله أن يكلأه ، ويحقق آماله ، وأخذت تقول :

«إننى فخور بما يغمرنى به ولدى المحبوب من رعاية وتقدير».

ولو أن الأولاد جميعا ساروا على هذا النهج القويم ، لتم للأسرة وحدتها ، وأصبحت كتلة واحدة لا تفرقها أيدى الأغراض والأهواء .

« وأخوته الصغار »

كان رفيقهن فى الملاعب والحدائق .

يجد فى قربه منهن نوعا من اللذة والسرور ، فلا يحلو له اللهو إلا معهن .

ولا يطيب له الأنس إلا إذا اجتمع بهن .

كان أخاهن الأكبر . ومن شأن الكبير أن يرحم الصغير ويرعاه ، ويبادله ضروب الاشفاق والارشاد .

كان يزور مرة دور الآثار ، وبرفقته هؤلاء الأخوات ، فتولى الشرح أحد الموظفين باللغة الفرنسية ، ولكن « الأخ »

البار ، طلب من الموظف أن يشرح باللغة العربية ، حتى يسهل الفهم على أخواته ، ويحيي القومية المصرية ، فى لغتها العربية !

وهذا برج عال . يتطلب صعوده شقة وعناء !

لا يريد أن يتخطى متنه ، دون أخواته الصغيرات !

فماذا يفعل ؟

أيحجم عن الصعود ، وهو ذو العزم الماضى ؟ .

أو يحجم عن البر بأخواته ، فلا يصاحبنه فى الصعود !

أدركت الأخوات إشفاق أخيهن ، فبادرنه بما يزيل عن قلبه المخاوف ، وأبدين حماسا بالغا فى أن يشاركنه فى هذا الصعود ، دون تقاعس أو توان .

وقد كان .

ويتجلى « البر » بالأسرة فى البعد أكثر مما يتجلى فى القرب. وكذلك كان « عظيمنا » فى الغربة أكثر براً .

ها هوذا يجلس بين جمع من الأنصـــار والاخوان . يشرب الشاى ، فى حديقة غناء ، فاح شذا عطرها ، حتى ملأ الجو طيبا ، والنفوس اهتزازا وطربا .

أما « عظيمنا » فكنت تراه ساهم البال ، حائر اللب ، مشدوه الخاطر ، كان أمراً خطيراً شغله عن الاستمتاع بهذه الأزاهير وابتسامها ، والشاى وحلاوته ، والحاضرين وأنسهم !

ما هذا الأمر الخطير ؟ .

أسرته الكريمة . .

والدى المحبوب : لعلك فى خير حال .

والدتى الكريمة : لعلك فى أرغد عيش .

أخواتى العزيزات : أين أنتن ؟ ومع من تلعبن ؟ آمل لكن متعة وهناءة !

تلك هى أحاديث النجوى ! .

ومثل هذا « البر » يتجلى نحو « الأساتذة » الذين سهروا على تربيته وتهذيبه ، وعملوا دائبين على تزويده ثمرات العلم الصحيح ، والثقافة الحقة ، وراحوا يفيضون عليه مما حباهم الله به من حكم ونصائح .

فارتوى « عظيمنا » من هذا الفيض العميم حتى تفتق ذهنه ، ونما عقله ، ومهما خلقه ، وطابت سريرته .

وكل هذا خير ومعروف أسداه اليه أساتذته .

فليحمد فيهم هذا الصنيع ، وليقدر لهم ذلك الجميل .

وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان ؟ !

يأنس الأساتذة إلى حفاوة «تلميذهم» ، الذى أمدوه بوحى ما عرفوا ، فأمدهم بوحى بره وتقديره.

وما أروع هذا الحفل !

أساتذة كرام يجلسون حول موائد الشاى ، وكأنهم عقد منظوم ، تتوسطه تلك الزهرة اليانعة ، التى تنفح الحاضرين بعطرها وطيبها ، وتوحى إليهم ألوان المسرة والغبطة .

وكأنّ لسان حاله يقول :

أى أساتذتى :

رسل الخير ، ومبعث النور ، ومصدر العرفان .

غذيتم « عقلى » وقومتم « خلقى » وقويتم « بدنى » .

فبماذا يفيكم حقكم العقل ، والخلق ، والبدن ؟ !

أى اساتذتى:

أنتم كالشمعة تضيئون ، ويصيبكم الزوال والانحلال ،

دون أن تفوزوا بربح أو مغنم !

لكن لكم فى « الوطن » الذى تبذلون فى سبيله الجهد والعناء نعم الربح والمغنم !

أى أساتذتى :

هذا « عقلى » وهو ثمرة غرسكم ، سأبنى به مجد « الوطن »

وهذا « خلقى » وهو وحى أرشادكم ، سأحصن به ذلك البناء .

وهذا « بدنى » وهو غرس أيديكم ، سأبذله ضحية رخيصة ، ليكون الحصن قويا منيعا .

وكأنّ « الأساتذة » استمعوا الى هذه النجوى ، فهتفوا جميعا :

« ليحى التلميذ البار »

واسترسلوا قائلين :

بارك الله فيك .

قد أثمرت تعاليمنا ، وآتت أكلها ، ولا يذهب العرف بين الله والناس !

أما « الفقراء » فكان لهم قسط وافر من بر هذا «العظيم»!

وفى ذلك أقوى دليل على كرم نفسه ، وجميل سجاياه .

هناك جمعيات خيرية ، تتولى عون البائسين والمنكوبين ، كان لها من عظيمنا زاد ومدد .

وعمال طاف بهم ، واستمع الى أغانيهم وأحاديثهم ، وأصغى إلى شكواهم . فأنصف المظلومين ، وأغاث الملهوفين ، وبذل العطاء للمعوزين .

كان يركب جواده فى سن العاشرة ، وصادفه فى الطريق جماعة من الصغار يلعبون ، فانتهرهم مرافقه ، وفرق جمعهم ، وحرمهم لذة الاستمتاع بما كانوا يلعبون .

غاظ ذلك « عظيمنا » الطفل ، وزجر مرافقه ، ونهاه أن يفعل ذلك مرة أخرى ، وقال له :

« لا أحب أن يقطع علىّ أحد أوقات تسليتى وألعابى ، وكذلك لا أحب أن تقطع ألعاب هؤلاء الصبيان ـ وهم مثلى ـ وفى الطريق متسع للجميع ! »

وخرج يوما يتفسح فى حديقة المنزل ، فرأى عاملا يبكى

بكاء مرا ! فراعه هذا البكاء ، وتقدم إلى الرجل يسأله الخبر ، فحدثه العامل عن فصله من الخدمة ، بلا جريرة اقترفها . فطمأنه واستمهله فترة من الزمن . عاد العامل بعدها إلى وظيفته بفضل توصية « عظيمنا » ومابذله من معونة هذا البائس المسكين !

وهذه عجوز شمطاء تجاس فى كوخها الحقير . وتحمل بين ذراعيها طفلها الصغير ، ترفع يدها الى السماء ، تطلب الرزق من القوت ، وإذا « عظيمنا » يشرق عليهـــا بوجهه الضاحك ، فيملأ جنبات المنزل بشرا وسرورا ، فهمّت المرأة بالوقوف تحية للزائر الكريم ، ولكنه طلب اليها أن تقعد وسألها عن حالها ، ووضع فى يدها المرتعشة مقدارا من النقود ، فانطلق لسانها بهذا الدعاء الحار :

عمر طويل ، وعز مديد !

وتلك طفلة صغيرة تعترض « عظيمنا » فى طريقه ، وتحمل يدها الغضة اضمامة من الورد ، فتقبلها قبولا حسنا ، وربّت على كتفها ، وطيب خاطرها ، بكلمات عذبة رقيقة .

وفى « لندن » دخل « عظيمنا » محلا لشرا بعض حاجاته.

ورأى طفلة وقفت تتأمل فى علبة جميلة ، فعطف عليها ، وقال لها:

هل أعجبتك هذه اللعبة ؟

فقالت نعم !

قال ولماذا لاتشترينها ؟

قالت لقد رفضت والدتى شراءها !

فاشترى « عظيمنا » العلبة ، وقدمها هدية إلى الطفلة ،فقبلتها شاكرة !

وكان شفيقا رحيما بالناس ، لايرضى أن يُعاملوا بالقسوة والغلظة .

زار متحفا ، فتجمهر الناس لمشاهدة هذه التحف ، ورغب إلى صاحب « المتحف » أن يشاهده فى هدوء ، فأسرع الرجل يريد إغلاق الباب .

فالتفت إليه « عظيمنا » قائلا

« برفق .. لاتغلقه بقوة فى وجوه الناس »

وهذا بائع فاكهة ، يعلن فاكهته بصوت جميل ، فيه نظرية وعذوبة ، وكأنه يمنى نفسه بهذه الأمنية الحلوة التى يأمل فيها

الحظوة، اذا اشترى « عظيمنا » بعض فاكهته ، وأراد « عظيمنا » أن يدخل السرور إلى قلبه ، فابتاع كل ما عنده ، وقدم له الثمن السخى ، ووزع الفاكهة على من كانوا بصحبته ، فأكل وأكلوا ، واستطابوا هذه الأكلة المباغتة !

أرأيت كيف كان « عظيمنا » مثلا صادقا للبر » ؟ !

وكيف وصل به « البر » الى أن يحب « الوطن » ، ويرعى « الأسرة » ، ويكرم الأساتذة ، ويرق للبؤساء والمعوزين !

ولا شك أن القلب الذى يهتز بتلك العواطف النبيلة هو القلب الناهض ، الذى ترجو الأمة على يديه تحقيق ما تصبو إليه من نهوض وفلاح .

ولا شك أن هذا الروح الحساس ، الذى يفيض بهذه المكارم ، حبا فى الخير ، واستجابة لوحى الضمير ، هو الروح الذى يلتف الناس حوله ، ويهتفون له من أعماق قلوبهم ، ويسيرون تحت ظلاله ، طالبين وارف النعمة ، ورغد العيش .

ولعلنا ندرك بعد هذا كله سر ما نرى ونسمع فى كل زمان ومكان ، من مظاهر الحفاوة والتكريم !!

ديمقراطية ؟!

وفى التاريخ قدوة حسنة ، لأولى الألباب ، لو كانوا يتدبرون !

وقد تدبر « عظيمنا » هذا التاريخ ، ورأى فيه صورة صادقة للبطولة والعظمة .

وما زال يفتش بعين بصيرته ، حتى اهتدى إلى تلك الشخصية الفذة ، التى أحبها ، وارتضاها مثالا يحتذيه ، ويسير على نهجه .

ويظهر أن الأيام جمعت بينهما فى كثير من الشؤون !

فاسماهما متشابهان .

وأيامهما زاهرة .

وصفاتهما كريمة .

وأبرز ما فيها تلك الخـــلة الوادعة المتواضعة ، وهى « الديمقراطية » .

وقد أحب « عظيمنا » هذه الشخصية . حتى جمع فى مكتبته الخاصة كل ما أثر عنها من أخلاق وأعمال .

وعلى هذا الغرار نشأ «عظيمنا» بعيدا عن مظاهر التكلف الممقوت ، والأبهة الجوفاء .

تراه كذلك فى ملبسه ، ورياضته . وغذائه .

إذا ركب سيارة ، قادها بنفسه . أو زار مكانا كان بعيدا عن أسباب الحفاوة والمديح !

وفى مرة قصد مكانا ، ورغب أن تكون الزيارة هادئة ، بعيدة عن التهليل والتكبير ، ورأى رئيس هذا المكان أن يتوجه إلى مرءوسيه ينصحهم ، لتحقيق هذه الرغبة ، فقال :

« أطلب اليكم أن تدعوا زائركم فى هدوء ، فلا تصفيق ، ولا هتاف ، فهو يعرف يقينا أننا نحبه حبا جما ، حب القلب ، لا حب اللسان »

وقد كان مظهر هذه الزيارة رائعا أخّاذاً ، لا تشوبه شوائب الملق والرياء !

وهذه صحراء قاحلة ، تناول فيها « عظيمنا » الغداء ، مع الاشياع والانصار ، فى سذاجة الصحراء وبساطة الديمقراطية ، وقال :

« ليس فى الصحراء قيود ، نحن هنا لا نتقيد بقيود المدنية

يجب أن نأكل كما يأكل أهل الصحراء .

فأكلوا كما يأكل أهل الصحراء . فى غبطة وسرور !

ولعله مرّ بك — فى معرض الحديث السابق — أنه كان يبدأ الناس بالتحية ، ويقابلهم بالبشر والفرح ، ويتحسس مواطن حاجتهم ، فيحققها ، ولا يتحرج أن يتحدث اليهم فى هدوء وأناة ، وأن يفيض شعوره بنادرة حلوة ، تنفذ إلى القلوب ، فتحيي فيها ميّت الآمال !

وكان يتفقد سائر الشؤون معتمدا على نفسه ، فيزور الغرف على كثرتها ، ويتعرف إلى القائمين بأمرها ، ويتحدث إليهم حديثا عذبا شائقا ، يسرّى عن نفوسهم آلام العمل ، وعناءه !

وفى داره « مصعد » أصابه العطب يوما ، وكان « عظيمنا » يود النزول . ووقع نظره على أحد كبار الموظفين ، يتراجع الى الوراء ، ارتقابا لافساح المجال ، واجلالا لمقام « العظيم » ولكن تواضع « عظيمنا » أبى عليه ذلك ، والتفت الى هذا « الموظف » مداعبا ، ملاطفا ؛ وقال له فى دعة :

تفضل ؛ فى السلم متسع لنا .

وأخذه من يده ، ونزلا معاً .

ومن شأن الموظف فى مثل هذا الموقف أن يكون هائبا وجلا ؛ ولكنه عرف « عظيمنا » كريم الخلق ، هادىء الطبع ، فأنس اليه ، واطمأن إلى تلبية ندائه !

وتلك « قاطرة » امتطى « عظيمنا » متنها ، فاجتمع الناس حوله ، ليروا محياه الوسيم ، وطلعته المشرقة .

وإذا جماعة من هؤلاء — فى سبيل أن يمتعوا أنظارهم بهذا المرأى البهيج — ، يضحون بأنفسهم الغالية ، ويتعلقون بأهداب القاطرة ، راكبين متن الأخطار !

أحس « عظيمنا » بهذه البادرة ، فنادى هذه الجماعة ، وفتح لهم باب غرفته الخاصة ، وأخذ يحادثهم فى رقة ووداعة ، وكأنهم ليسوا بحضرة عظيم ، وكأنهم فى حلم تأهين !

ولكن « عظيمنا » أيقظ شعورهم ، وأحيا ذهولهم ، بما نفحهم من مال ، طاروا به فرحين ، وان كان فرحهم أعظم بما واتاهم من حظ المقابلة ، ووافاهم من هذا العطف السامى !

وها هى ذى كلمة « الديمقراطية » يقرؤها « عظيمنا » فوق علبة من السجاير الفاخرة ، تتهادى أمام عينيه ، وتظهر بثيابها الجميلة الجذابة . فهى تعرف مكانتها فى قلبه !

وأراد بعض الحاضرين أن يثير حساسية « العظيم » نحو هذه الكلمة ، الجامعة لكثير من المعانى ، وأدرك « العظيم » سر هذه الأثارة ، وقال :

إن بعضهم لا يهضم هذه الكلمة ، ولكن أنا أهضمها !

وما أجمل الديمقراطية ! تُشرف على الناس جميعا ، لافرق بين حاكم ومحكوم ، تتلمس مواطن الحاجة . فتبعث فيها حياة الأمل . وتتحسس رغبات المظلومين ، فترد اليهم الحقوق !

ما أجمل « الديمقراطية » !

لا تحجب صاحبها عن عيون الناس ، ولاتحبس قلوبهم عن الاهتزاز بحبه !

يشهد الحفلات العامة ، فيعطيها الروح والحياة ، ويجوس خلال الشوارع ، فيملؤها فرحا ومرحا ، وكأنه العيد أقبل بالآمال !.

ويؤمُّ المساجد ، يذكر الله بين الذاكرين . فيعمر القلوب بحب الإيمان ، ويهدى النفوس بتقوى ذى الجلال والاكرام ، ويضرب أصدق الأمثال فى الخشوع للكبير المتعال ، والرغبة فى رضوانه ، والرهبة من غضبه !.

وليس بدعا أن يكون هكذا « عظيمنا » وقد نشأه أبوه منذ طفولته على فضيلة « الديمقراطية » ، وضرب له من نفسه أصدق الأمثال :

هذا طفل يرقص فى حفل قروى حاشد . وكان أبوه يشهد هذا الحفل ، وأخذ القرويون يقبّلون ملابسه الفاخرة . دون أن يبدى أى إشارة ، واقترب منه بعض الكبراء ، وقال:

ما أشد طيبتك ، وصبرك على هؤلاء الأصاغر !

وأى كرم يدفعك إلى فقد عشر دقائق من الوقت فى مشاهدتك . فأجاب قائلا :

طيبة ! وصبر ! وكرم !

لست أرى ما يجعلك تجمع كل هذه النعوت ، فانى لم أحضر إلى هنا لسماع الخطب ، وحضور مآدب الشاى ،

ومشاهدة الاحتفالات ، بل حضرت خاصة لهؤلاء القرويين ، فعليهم تتوقف سعادة البلاد ورقيها .

وتوقف لحظة ، ثم قال فى تهكم لطيف :

وبدونهم - يا باشا - لم تكن لتحصل على إيرادك السنوى العظيم !

وربّت على خد الطفل الراقص ، ونفحه بعدد من الدراهم .

وما أصدق القرآن ، فى هذا المقام إذ يقول :

« ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم » .

والشاعر إذ يقول :

وينشأنا شيء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

ملك

والآن نريد أن نصارحك — أيها القارىء الكريم ، وأن نكشف لك عن صاحب هذه السيرة ، وقد تذوقت ما فيها من رقة وحلاوة ، وعرفت عنها بعض ما راعك وشاقك .

ولعلك أدركت ، وأنت تسبح فى مجالها الواسع الفسيح أن ليس هذا الملك كسائر الملوك !

هو فذ فى عظمته : عظيم فى أريكة ملكه : جدير بهذه الأريكة أن تعتز به ، وتفاخر بجليل آثاره !

هل عرفته ؟ !

وهل يجهل ذو التاظرين ذاك الضياء ؟ !

هو « فاروق الأول »

وفى سيرته — تلك — المثل الأعلى للكرام العاملين.

وفى عظمته — تلك — المجد لمصر والمصريين .

ولا غرو ، فالولد سر أبيه .

و « فؤاد » زينة الآباء

و « نازلى » فخر الأمهات .

« فاروق الأول »

وقد برز إلى ميدان الملك ، وهو غض الاهاب ، فكان البطل المغوار ، يقود الوطن إلى بر السلامة والنجاة .

« فاروق الأول »

الذى هتف من أعماق قلبه :

عاش شعب مصر المجيد ، وعاشت مصرنا الخالدة .

فهتف الشعب من أعماق قلبه .

ليعش الملك فاروق .

ليعش الملك الشاب .

ليحي الملك الصالح .

ليحي الملك الديموقراطى .

« فاروق الأول » الذى توجّه إلى أمته بهذا الميثاق :

إننى استقبل حياتى الجديدة بعزم وثبات ، وإرادة قوية ، وأعاهدكم عهدا وثيقا على أننى سأقف حياتى على العمل لنفعكم ، وموالاة السعى فى سبيل إسعادكم . لقد رأيت عن كثب حبكم لى ، وتعلقكم بى ، لذلك أرى لزاما علىّ أن أعلن ما اعتزمته من التضامن معكم فى سبيل مصر العزيزة ، فانى أؤمن بأن مجد الملك من مجد شعبه »

فتوجهت أمته إليه :

بهذا القول على لسان رئيس الوزراء :

ولكن الله فى سامى حكمته ، أبى إلا أن يظهر للناس أنه الرحيم فيما ارتضى ، اللطيف فيما قضى ، فهيّأ للبلاد ملكا

دستوريا بطبيعته ونشأته ، وهو حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، الذى توج الله هامته بتاجى مصر : تاج عرشها ، وتاج حبها .

وبهذه الأهازيج ، يرددها القرويون ، محتفين بمقدمه المبارك ، فى رحلته إلى الصعيد :

البدر ضوى نجعنا يا فرحنا فاروق فداك أرواحنا
مولانا يا روح الوطن يا فخر مصر على الزمن
يسلم شبابك للوطن وتعيش فداك أرواحنا

وبهذه القوافى ، تنظمها أوتار الشعر ، فى عيد الميلاد :

فاروق أنت مناط آمال الحمى وسلالة الأمجاد من نصرائه
أعلى أبوك بناء مصر فزاحمت زهر الكواكب راسيات بنائه
وأرى فؤادا فيك فى قسماته ومضائه وذكائه وسخائه
تبدو أيادى الغيث فى زهر الربا ويعيش سر المرء فى أبنائه

فاروق من حب القلوب تحية يشدو الزمان بذكرها تغريدا
لما دعوت الشعر فيك تجمعت نخب الخمائل وانتظمن قصيدا
ولكم تمنّت كل هاتفة الضحى لو رددتها فى الأنام نشيدا

يا صاحب الجلالة :

بعد بضعة أشهر ستعود من رحلتك ظافرا ميمونا ، وتستقبلك مصر — كما عهدتها — استقبالا حافلا رائعا ، تبايعك فيه بالملك ، وتعقد حولك الآمال ، وتضع مستقبلها بين يديك . وهى إذ تفعل ذلك تسلم السفينة إلى ربانها ، ليهديها الصراط السوى ، والراية إلى قائدها ، ليكفل لها الفوز القريب ، والنصر المبين .

ويا مصر العزيزة :

ارتقبى هذا اليوم السعيد . وقرى عينا بهذا الفأل الطيب ، وذوقى أفاويق النعمة والسيادة .

وياشباب النيل :

لتكن هذه « القصة » قبسا ، ينير لكم صروف الحياة .